

رحيل صديق ارتريا الثورة والدولة

د. إبراهيم نصر الدين



بقلم: د. أحمد حسن دحلي

غيببت المنية في 14 أكتوبر عن عمر يناهز 74 ربيعاً، جسد المفكر السياسي المصري الكبير د. إبراهيم نصر الدين الصديق الصديق لإرتريا الثورة والدولة، ولكن د. إبراهيم سيبقى حياً عبر مؤلفاته العديدة والعميقة، ومن خلال مواقفه التضامنية التاريخية مع نضالات الشعوب الأفريقية، في نفوس وعقول وافئدة افراد أسرته، ووطنه، وجامعته، وطلابه، واصدقائه ولا سيما في القارة الأفريقية التي تخصص في شؤونها وشجونها، وتفاعل مع اخفاقاتها ونجاحاتها، وتجاوب مع احباطاتها وانجازاتها وتطلعاتها منذ ريعان شبابه لغاية ساعة رحيله.

لقد توطدت صداقتنا على مدى الايام والسنوات، والتقينا عدة مرات في اسمره والقاهرة، وناقشنا هموم مصر وارتريا، وقضايا القرن الافريقي، وتحديات البحر الاحمر وحوض النيل، وتطورات الاحداث في القارة السمراء وفي الشرق الاوسط والعالم. وفي 19 ديسمبر 2019 استقبلني وكعادته بحفاوة كبيرة في مكتبه بجامعة القاهرة، برفقة رهط من طلاب الدراسات العليا من المصريين والسودانيين واليمنيين. وتناولنا اطراف حديث عن مجمل قضايا القرن الافريقي والشرق الاوسط. وكان د. ابراهيم نصر الدين يود ان اكون عضو لجنة الاشراف على رسالة الدكتوراه التي أعدها الباحث المصري ياسر السبكي عن مسيرة الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا من الثورة الى الدولة، ولكن الظروف لم تسمح بذلك. وعندما صدرت تلك الرسالة العلمية على هيئة كتاب عن المركز العراقي - الافريقي للدراسات الاستراتيجية، بادر على اهداء نسخة من الكتاب الى الرئيس أسياس افورقي، والى سكرتير الجبهة الشعبية للديمقراطية والعدالة الامين محمد سعيد، واخرى الى مدير المركز الارتري للدراسات الاستراتيجية. واتفقنا ان نلتقي في القاهرة في غضون السنة الجارية، ولكن جائحة الكورونا وعواقبها احوالت دون سفري الى مصر.

وبهذه المناسبة، يسر موقع " المركز الارتري للدراسات الاستراتيجية " ان يعيد نشر نص الحديث المهم والملهم الذي ادلى به د. ابراهيم نصر الدين لجريدة " ارتريا الحديثة " بمناسبة حضوره الى ارتريا لمشاركة الشعب الارتري في احتفالاته بمناسبة اليوبيل الفضي لإنتراعه حرته من المستعمر الاثيوبي وأعوانه. قال د. ابراهيم نصر الدين في معرض هذا الحديث " من خلال تخصصي في حركات التحرر الأفريقية من الناحية السياسية والعسكرية استطيع القول بأن الثورة الارترية هي الحركة الأفريقية التي تستحق ان يطلق عليها حركة تحررية وذلك لعدة أسباب وهي:

أولاً: نشأت الثورة الارترية في ظروف عدم الاعتراف بها من قبل المجتمع الدولي، واستمرت وانتصرت.

ثانيا: واجهت لوحدها المعسكرين الغربي والشرقي اللذين وقفا وعلى التوالي مع نظام الإمبراطور هيلي سلاسي ونظام الكولونيل منجستو هيلي ماريام، وحققت الانتصار في خاتمة المطاف.

ثالثا: الثورة الارترية هي الثورة الوحيدة التي حررت كامل ترابها الوطني بالكفاح المسلح، وزحفت الى أديس أبابا عاصمة العدو وهزمته في عقر داره، وهذه عملية غير مسبوقه في تاريخ الحركات التحررية.

رابعا: الثورة الارترية هي الثورة الوحيدة في عصرنا الراهن التي ناضل فيها الإناث جنبا الى جنب مع الذكور.

خامسا: الثورة الارترية هي حركة التحرر الوحيدة التي كرمت الإنسان والجبال والجمال والشدة، وهذا اعتراف بالجميل لكل من ساهم في مسيرة النضال التحرري، وهم يستحقون ذلك وبجدارة."

ويتحدث الباحث المصري عن أوضاع ارتريا قائلا " عندما نزلت الى شوارع اسمرام لمشاهدة الاحتفال بعيد الاستقلال، تخيلت ان كل الشعب الارتري خرج الى الشوارع احتفاء بالمناسبة من كثرة أعداد الناس المبتهجة في الطرقات. وحينها تذكرت إنني كنت منصفا في حوارتي مع بعض الارتريين في ندوات في القاهرة وخارجها، حيث كنت أقول لهم مرارا وتكرارا، عليكم بزيارة ارتريا للتعرف على حقيقة الأوضاع بدلا من الحديث عن الهاربين من الخدمة الوطنية وهي واجب إلزامي على كل مواطن، ليس في ارتريا وإنما في كل دول العالم.

وبكل صراحة الشعب الارتري شعب عظيم وحليم عند مقارنته بالشعوب الأخرى، فهو قد تجاوز كل المرارات والمآسي والجراحات التي تعرض لها، والتي كانت أثيوبيا سببا فيها، ولم يكون عقدة نفسية تجاه الشعب الأثيوبي، بل فتحت الدولة الارترية عقب التحرير قلبها للجارة أثيوبيا التي حرمتها ردحا من الزمان ووقعت معها اتفاقيات كثيرة للتعاون، إلا ان أثيوبيا وبالمقابل لم تستفد من ذلك الخطأ الذي وقع فيه أسلافها، واعتدت على ارتريا مرة ثانية.

وأود أن أقول بأنني وبينما كنت أتجول في أوساط تلك الجموع المختلفة بصورة عفوية وتلقائية انتابني إحساس مركب وهو:

1 - إن الأعداد المختلفة هائلة للغاية.

2 - إنهم ينتمون لقوميات مختلفة.

3 - سير الفعاليات بصورة منسجمة وبلا مشادات أو تحرشات على عكس ما هو الحال في بقية دول العالم عندما تخرج حشود ضخمة."

والى ذلك يرى د. إبراهيم نصر الدين " رفض أثيوبيا لتنفيذ قرار مفوضية ترسيم الحدود الارترية - الأثيوبية يشكل انتهاكا صارخا للقانون الدولي، وكان من المفروض ان يتدخل مجلس الأمن لتنفيذ ذلك القرار، ولكنه ومع الأسف لم يحدث ذلك. واني اقدر موقف ارتريا الحكيم في التعامل مع هذه القضية وفي هذه المرحلة بالذات، فإرتريا تملك وثيقة قانونية دولية ملزمة تؤكد ارترية بادمي، وفي نظري المسألة هي مسألة وقت، وستعود بادمي الى السيادة الارترية، ولا سيما وان النظام الأثيوبي يوجد في غرفة العناية الأمريكية، وطال الزمن أو قصر سينصاع النظام الأثيوبي للقانون الدولي."

وقال المفكر المصري " أريد إن يعي الجميع بأن العقوبات المفروضة على ارتريا من قبل القوى الغربية ليست موجهة في الأساس إلى الحكومة الارترية، بقدر ما تهدف إلى إركاع الشعب الارتري. وان كل ما أثير من قضايا الحدود مع اليمن وجيبوتي وأثيوبيا، لم يكن إلا بغرض عرقلة عملية التنمية وإدخال ارتريا في دوامة حالة عدم الاستقرار."

هذه القراءة التحليلية للد. إبراهيم نصر الدين لإرتريا الثورة والدولة تسلط اضواء ساطعة على حقيقة معدن واصالة وعمق هذا المفكر السياسي المصري الذي يشكل غيابه خسارة كبيرة ليس لمصر وارتريا على حد السواء، وإنما لعموم القارة السمراء.

وأخيرا وليس آخر، يجدر التنويه في هذا الصدد الى ان د. إبراهيم نصر الدين حاضر في جامعة القاهرة لثلاثة عقود كاملة 1990 - 2020، واشرف على عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه، هذا علاوة على إنه أصدر عددا من الكتب المهمة منها:



- القرن الافريقي المتغيرات الداخلية والصراعات الدولية.
- مصر و افريقيا: مسيرة العلاقات في عالم متغير
- الصراعات والحروب الاهلية في افريقيا.
- العلاقات العربية - الافريقية.
- دراسات في العلاقات الدولية الافريقية.